



الوسطية في العبادات في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Moderation in worship in the Holy Quran Objective study

إعداد

الدكتور جعفر عايد بدوي دسه
كلية العلوم الإسلامية/جنوب الخليل
2023م



ملخص:

هذه الدراسة تبرز دور الخطاب القرآني في الوسطية في العبادات التي تعد بناء الإسلام، وقد اقتضت الدراسة معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للوسطية والعبادة، والأدلة من القرآن الكريم على ذلك مع بيان دلالة هذه الآيات من خلال التفاسير، وقد أبرزت وسطية العبادة المخصوصة في : (الصلاة والزكاة والصيام والحج)، وظهرت هذه الوسطية من خلال الاعتدال والتوازن في جميع العبادات السابقة فلا غلو ولا مغالاة، ولا تقصير ولا تهاون، ولا إفراط ولا تفريط، وقد بان ذلك من خلال الأمثلة والنماذج المصحوبة بالأدلة من القرآن الكريم.

Abstract:

This study is an objective study that highlights the role of the Qur'anic discourse in the medium and especially in the worship that is the building of Islam. The study required knowledge of the linguistic and the traditional meaning of moderation and worship, the evidence from the Holy Quran and the significance of the verses through the interpretations. And showed this moderation through moderation and balance in all the previous adoration of the former, there is no exaggeration or exaggeration, nor negligence or negligence, nor exaggeration or negligence, it emerged through examples and models accompanied by evidence from the Koran.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين خالق الناس أجمعين متفاوتين في كل شيء، وجاعل أمة محمد خير الأمم، وجاعلها الأمة الوسط؛ لتكون شاهدة على الناس، ويكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- علينا شهيداً، والحمد لله الذي هدى سيدنا محمد سبيل الاعتدال، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد :

إن الله قد اختار لهذه الأمة الوسطية في الدين، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله في وصف هذه الأمة، حيث يقول : **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**¹، فحملت الأمة الأمانة، ودعت إلى الله على بصيرة وهداية مبشرة وميسرة، لا منفرة ولا متشددة، فاستحقت خلافة الله في أرضه. ومن وسطيتها اعتدالها في القيام بالمأمورات المخصوصة في العبادات، وهي: (الصلاة والصيام والزكاة والحج).

فالقرآن الكريم مصدر التشريع الأول، الذي اشتمل على الدلائل الواضحة على التيسير والتسهيل في القيام بالواجبات الأساسية للدين، **﴿لَا يَكْفِيُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.....﴾**² إنها وسطية فضلى، يحبها الله ويرتضيها، ويأمر بها، وينهى عما سواها من إفراط أو تفريط هنا أو هناك. وبما أن من معاني

¹ - سورة البقرة، الآية 143.

² - سورة البقرة، آية 286.

الوسطية اليسر قال تعالى: ﴿بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ¹﴾ الدلالة فيها التخفيف عليكم، والتسهيل عليكم ونفي تكليف ما لا يطاق². وعلى هذا اخترت عنوان البحث.

فقد جاء البحث في مقدمة ، وثلاثة مباحث، تقفوها الخاتمة، وهي على النحو الآتي:
المقدمة : وفيها أهداف البحث، وأهميته، ومنهجه، ومشكلة الدراسة، مع بيان هيكلية الدراسة.
المباحث وفيها تعريف الوسطية في اللغة والاصطلاح، الغلو والتطرف. العبادة في اللغة والاصطلاح والعبادات المخصوصة، الأدلة القرآنية على التيسير، والأدلة على الوسطية في العبادات المخصوصة وتفسيرها .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تعالج مشكلة التطرف والتشدد في بعض التصرفات في العبادات، وبعيدة عن ما يحث عليه الإسلام من خلال القرآن الكريم .
فقد أصبحت ظاهرة التنطع والتشدد في العبادات أمراً ينفّر الناس من القيام بها .

أهداف الدراسة:

- 1- بيان مفهومي الوسطية والعبادة .
- 2- بيان أثر التشدد في العبادات .
- 3- ابراز أثر المنهج الوسطي التيسيري من خلال أعمدة الدين الأساسية .
- 4- الكشف عن أن القرآن الكريم مصدر أساسي للتيسير والاعتدال على الناس.

منهجية الدراسة:

¹ - سورة البقرة ،آية185.

² - تفسير الطبري،3/475.

يعتمد الباحث في إقامة هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي وذلك بما يتناسب مع منهجية التفسير الموضوعي من خلال الوقوف على الآيات واستقراءها وبيان الوسطية فيما احتوت عليها من باب التسهيل والتيسير وذلك بتتبع الآيات من القرآن الكريم التي اقتصت في باب (الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج).
مشكلة الدراسة:

ظهرت في السنوات الأخيرة ظاهرة التكفير والتفسيق والتشدد في البلاد الإسلامية، من خلال انحرافات فكرية وسلوكية بعيدة عن المنهج الذي دعا إليه الإسلام من خلال مصدره الأساسيين القرآن والسنة، مما زاد ظاهرة التفسيق والتكفير وإبطال ما يقوم به الناس من عبادات نتيجة لجلف وصدف من يحملون الأفكار المتشددة، التي قد تخرج الناس عن جادة الحق والدين.

ولمواجهة هذه الأفكار كان لزاماً علينا اظهار المنهج الوسطي التيسيري، الذي اعتمده القرآن الكريم، وأقره في العبادات التي تعتبر الأركان الأساسية للدين(الصلاة والصيام والزكاة والحج) من خلال الآيات القرآنية وتفسيرها، وبيان أوجه الوسطية فيها، والوقوف عليها بالتفسير دراسة موضوعية .

المبحث الأول : مفهوم الوسطية لغةً واصطلاحاً:

أولاً : الوسطية لغة :

ما يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾¹. يقال: ضربت وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها، وهو أوسطهم حسباً إذا كان من واسطة قومه وأرفعهم محلاً².

¹ - سورة البقرة ، الآية 143 .

² - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 108/6.

يقول أبو البقاء: "والوسط في الأصل هو اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب ... ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفریط، ثم أطلق على المتصف بها مستويًا منه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها"¹.

ثانياً: الوسطية في الاصطلاح الشرعي:

اشمل تعريف حسب اعتقادي ولشموليته واستئناسا بالمعنى اللغوي وموضحاً للهدف العام للدراسة هو "التوازن والتعادل بين طرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفریط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدل، والأجود والأكمل والأيسر"².

فهو يشمل الصفات المحمودة التي على الأمة المسلمة عدم التفریط فيها؛ لأن الله وضع لها مكانة عظيمة بين الأمم من الناحية الخيرية قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾³، وشاهدة عليهم. وخير الأمور أوسطها أي: أعدلها وأيسرها.

والوسطية في قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁴ أي: عدولاً خياراً.⁵ يقول ابن جرير الطبري "الوسط هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط؛ لتوسطها في الدين"⁶.

¹ - الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص938. وسأشير إليه لاحقاً بالكليات.

² - هاشم، أحمد عمر، وسطية الإسلام، دار الرشد للنشر والتوزيع، ط 1، 1998م، ص 7.

³ - سورة آل عمران، الآية 110.

⁴ - سورة البقرة، الآية 143.

⁵ - هاشم، أحمد عمر، وسطية الإسلام، ص 7. مرجع سابق.

⁶ - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001م، 626/2. سأشير إليه لاحقاً بتفسير الطبري.

ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير، كان محموداً، أي أن هذه الأمة لم تغلُ غلو النصارى في عيسى -عليه السلام-، ولم تقصر تقصير اليهود في أنبيائهم، ويقال: وسط قومه، أي: خيارهم.

ولا يصح إطلاق مصطلح (الوسطية) على أمر إلا إذا توفرت فيه الملامح الآتية¹:-

- 1- الخيرية: وهي تحقيق الإيمان الشامل، يحوطه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- 2- الاستقامة: وهي لزوم المنهج المستقيم بلا انحراف، فالوسطية لا تعني التنازل أو التميع أبدأً.
- 3- البينية: وذلك واضح في كل أبواب الدين، فالصراط المستقيم بين صراطي المغضوب عليهم والضالين.
- 4- اليسر: ورفع الحرج: وهي سمة لازمة للوسطية.

5- العدل والحكمة: خيار الناس: عدولهم. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾².

فالتوازن في الشريعة الإسلامية: النظر في كل الجوانب، وعدم طغيان جانب على آخر، وذلك باجتئاب الغلو والجفاء.

للوسطية سمات تدل على الاعتدال في الأحكام والتصرفات، والوسط لا بد أن يكون في سلوكه من غير تفريط موافقة للشرع، والعقل السليم الذي ينهى عن الغلو والمبالغة لتستقيم حياة الناس ولا تنحرف عن الجادة بالغلو أو الجفاء لا يكون معه العيش مستمراً .

وهي بريئة من الهوى، وتعتمد على العلم الراسخ؛ لأنها تراعي القدرات والإمكانات، وفيها مراعاة للزمن والناس فالزمن يتغير، والناس يحتاجون إلى تجدد باعتبار الزمن وباعتبار التغيير، فمحافظة الوسط يقتضي أن يكون هناك مراعاة لاختلاف الأزمنة والأمكنة والناس.

¹ -فرحات، يوسف علي، الوسطية والاعتدال، مقال

منشور، <http://www.msajedna.ps/index.php/front/news/article/253>، السبت، 2019/5/25م، الساعة 12 ظهراً.

² - سورة النحل، آية 90.

الاعتدال من مرادفات الوسطية:

وبما أن الوسطية هي الاعتدال في الشيء فلا بد من الوقوف عند مفهوم الاعتدال :
الاعتدال لغة: من العدل، وهو القصد في الأمور، أي التوسط فيها وعدم مجاوزة الحدّ. وقيل: الاعتدال توسط حال بين حالين في كمّ أو كيف، وكلّ ما تناسب فقد اعتدل.¹ فهو مرادف للاقتصاد.

العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور ، وفي أسماء الله سبحانه : العدل وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، والعدل من الناس : المرضي قوله وحكمه ، وقال الباهلي : رجل عدل وعادل جازئ الشهادة ، ورجل عدل : رضا ومقنع في الشهادة².

الغلو والإفراط ...

أما الغلو فقد عرّفه أهل اللغة بأنّه مجاوزة الحدّ، وقال ابن منظور: وغلا في الدّين والأمر يغلو غلواً: جاوز حدّه، وفي التنزيل: لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ³.
قال ابن فارس: "غلوّ: يدلّ على ارتفاع ومجاوزة قدر، وغلا الرّجل في الأمر غلواً، إذا جاوز حدّه"⁴.

¹ الكفوي، الكليات، 1/150، مرجع سابق.

² - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط2، 1414 هـ، 430/11.

³ - سورة النساء، الآية 171.

⁴ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة مادة (غلو) (387/4). مرجع سابق.

وفي الحديث: "إياكم والغلو في الدين" ¹ أي: التشدّد فيه ومجاوزة الحدّ، كالحديث الآخر: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق" ². وغلا السهم نفسه: ارتفع في ذهابه وجاوز المدى، وكلّه من الارتفاع والتّجاوز.

وقد ورد في القرآن الكريم آيتان فيهما النّهي عن الغلو بلفظه الصّريح، قال - تعالى - في سورة النساء: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ³ ﴾ قال الطبري: " لا تجاوزوا الحقّ في دينكم فتقرطوا فيه. وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حدّه الذي هو حدّه، يقال منه في الدين: قد غلا فهو يغلو غلواً ⁴ .

أمّا الآية الثانية فجاءت في سورة المائدة، قال - تعالى - : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ⁵ ﴾، قال الطبري: يقول: لا تقرطوا في القول فيما تدنّون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحقّ إلى الباطل، فتقولوا فيه: هو الله، أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه ⁶ .

¹ - ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة العالمية ط2009م، 1م، 228/4، رقم(3029). وصححه - أيضًا- الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (1283). وغيرهم.

² - ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ،مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م، 346/20، رقم(13052) وعزاه أيضًا للبزار والبيهقي، كما في صحيح الجامع رقم (2246)، ولفظ الحديث: "فأوغلوا".

³ - سورة النساء ، الآية 171.

⁴ - تفسير الطبري 416/9.

⁵ - سورة المائدة، الآية 77.

⁶ - تفسير الطبري 487/10.

قال ابن كثير في آية المائدة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾¹. أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله². فعليه أن الغلو: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد³. نستنتج أن الغلو مجاوزة الحد والمبالغة فيما طلبه وإرادته الشارع الحكيم.

الإفراط لغة: في لسان العرب: وأمر فُرط، أي: مجاوز فيه الحد⁴. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى﴾⁵. وجاء في معجم مقاييس اللغة: يُقال: أفرط: إذا تجاوز الحد في الأمر، يقولون: إِيَّاكَ والفرط، أي لا تجاوز القدر، وهذا هو القياس، لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته⁶. قال ابن جرير الطبري: "وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي، يقال منه، أفرطت في قولك، إذا أسرف فيه وتعدّي"⁷.

1 - سورة المائدة، آية 77.

2 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، 1419 هـ، 3/144. سأسير إليه لاحقاً تفسير ابن كثير.

3 - ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ، 13/278.

4 - ابن منظور، لسان العرب مادة (فرط)، 7/368.

5 - سورة طه، الآية 45.

6 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (فرط) 4/490.

7 - تفسير الطبري 18/314.

نستنتج أن الغلوّ والإفراط تجاوز الحدّ. وهما خروج عن "الوسطية" فيكون كل أمر وصف بالغلوّ أو التفريط ليس من الوسطية في شيء، ويأبى الإسلام أن يغلو الإنسان في العبادة فالأصل في التكليف هو طاقة النفس البشرية، فقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.....¹

المطلب الرابع: الآيات التي اشتملت على لفظ "الوسطية":

من خلال تتبع الآيات في القرآن الكريم للفظ "الوسطية" فقد ورد هذا اللفظ بصيغته (7) مرات.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا².

وروى الطبري بإسناده عن النبي، ﴿ في قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدولا ، و نقل تفسير ابن عباس لها "جعلكم أمة عدولا"³.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ⁴

﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ⁵

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ⁶

وقد ذكر المفسرون معنى كل كلمة في موضعها، فمنهم من جعل معناهما واحداً، ومنهم من فرّق بين مدلوليهما، مثل:

1 - سورة البقرة، آية 286.

2 - سورة البقرة، آية 143.

3 - تفسير الطبري 143/3. والحديث أخرجه الترمذي (190/5) رقم (2961) وأحمد (9/3) وعندهما "عدلا" بدل "عدولا".

4 - سورة البقرة ، آية 238.

5 - سورة المائدة، آية 89.

6 - سورة القلم، آية 28.

□ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ □ أعدله. و قال: من أوسط ما تُطعمون أهلكم في القلة والكثرة¹ □ . مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ □ وهو ما كان بين شيئين² .
وقوله: □ قَالَ أَوْسَطُهُمْ □ يعني أعدلهم³ . (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) أي: أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم⁴ .
كلمة (فوسطن) .وردت في قوله - تعالى - : (فَوَسَّطْنَا بِهِ جَمْعًا⁵) ، عن ابن عباس قال: هو جمع القوم⁶ .
وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب⁷ .
المطلب الخامس: وردت آيات في القرآن الكريم تبين أن الدين دين يسر على النحو الآتي:
□ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ □⁸ الدلالة فيها التخفيف عليكم، والتسهيل عليكم ونفي تكليف ما لا يطاق⁹ .

1 - تفسير الطبري، 543/10.

2 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة، 276/6، سأشير إليه لاحقاً تفسير القرطبي.

3 - تفسير الطبري، 550/23.

4 - تفسير القرطبي، 244/18.

5 - سورة العاديات ،آية5.

6 - تفسير الطبري، 564/24.

7 - قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17 - 1412 هـ ، 3958/6.

8 - سورة البقرة ،آية185.

9 - تفسير الطبري، 475/3.

- يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا¹ □ هذه الآية صريحة في نفي تكليف ما لا يطاق².
□ وَتُيسِّرُكَ لِلْيُسْرَى³ □ الدلالة على ، نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل⁴.
□ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا⁵.
□ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا⁶□، دلالتها أن يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة⁷.
□ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا⁸ □ دلالة على الرخاء⁹.
□ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ¹⁰ □ قيل الحرج هو الإتيان بالرخص¹¹.

1 - سورة النساء، آية 28.

2 - الرازي، مفاتيح الغيب، 116/7.

3 - سورة الأعلى، آية 8.

4 - الزمخشري، الكشاف، 739/4.

5 - سورة الشرح، الآيات 5-6.

6 - سورة الطلاق، آية 4.

7 - الرازي، مفاتيح الغيب، 563/30.

8 - سورة الطلاق، آية 7.

9 - تفسير الطبري، 464/23.

10 - سورة الحج، آية 78.

11 - الرازي، مفاتيح الغيب، 253/23.

□ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.¹

□ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .²

□ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ .³

□ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ⁴

□ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا⁵ الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يجرح فيه، أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود⁶ .

□ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ⁷. طلبوا السهولة في التكاليف⁸.

1 -سورة المائدة، آية 6.

2 -سورة التوبة، آية 91.

3 - سورة الأحزاب، آية 38.

4 -سورة النور، آية 61.

5 -سورة البقرة، آية 286.

6 - الزمخشري، الكشاف، 1/332.

7 -سورة البقرة، آية 286.

8 - الرازي، مفاتيح الغيب، 7/122.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ¹﴾. الدلالة على أنه ،
إلا ما يسعها فيحلّ لها ولا تحرجُ فيه².

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. ³﴾

المبحث الثاني: مفهوم العبادة.

المطلب الأول: العبادة لغةً واصطلاحاً:

العبادة أنّ تكون كلّ حركة يقوم بها المسلم في حياته يكون الدافع لفعالها رجاء محبة الله ورضوانه، تكون حياته كلها لله ، بل وموته لله كما في قوله تعالى: ﴿أَقُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. ⁴﴾

بل إنّ الإسلام قد أسبغ على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة إذا قصد بهذه الأعمال وجه الله ومرضاته، وقام بها على الوجه المشروع الموافق للسنة⁵.

الدين كلّهُ عبادة؛ لأنه إنما شرع من أجل أن يرسم للإنسان منهج حياته الظاهرة والباطنة ويحدد سلوكه وعلاقته بالآخرين، شاملة لجميع شئون الحياة، وليست مقصورة على الشعائر فقط كما يفهمه كثير من المسلمين اليوم، فهم لا يفهمون من كلمة «عبادة» إذا ذُكرت إلا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة.. ونحو ذلك من الأدعية والأذكار.

¹ -سورة الأعراف، آية 42.

² -تفسير الطبري، 225/12.

³ -سورة المؤمنون، آية62.

⁴-سورة الأنعام، الآيات (162 - 163).

⁵ - ضميرية، عثمان، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، مكتبة السوراني - جدة، ط1، ص 285.

صحيح إنَّ هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية في الإسلام، لكنها لا تعني أنها كلّها، إنما هي جزء من العبادات لله وليست هي كلُّ العبادة التي يريدها الله من عباده..

ولكن ما نرغب في طرحه في هذه الدراسة هو العبادة المخصوصة من صلاة وصيام وزكاة وحج .

العبادة لغة: قال ابن منظور: العبد: الإنسان، حرّاً كان أو رقيقاً يُذهب ذلك إلى أنه مريبوب لباريه عز وجلّ .. يقال فلان عبد بيّن العبودية، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل .. والتعبد: التمسك، والعبادة الطاعة، قال ابن الأنباري: فلان عابد: هو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره¹ .
العبادة اصطلاحاً :

يمكن أن تطلق العبادة ويراد بها الأقوال والأفعال المأمور بها شرعاً، أي ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال يحبها الله -تعالى- ويرضاها.

وبهذا المعنى جاء تعريف الإمام ابن تيمية، فقال: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة² .

المطلب الثاني: أنواع العبادات المخصوصة.

¹ - ابن منظور، لسان العرب 3/274 . الفيومي، المصباح المنير، 2/389 مادة عبد.

² - ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 17 - 2005م، ص44.

1- الصلاة:

الصلاة لغة: الدعاء، قاله الله- تعالى-: وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ¹ أي ادعُ لهم، وقال النبي ﷺ: ((إذا دُعي أحدكم فليجِبْ، فإن كان صائماً فليصلِّ، وإن كان مفطراً فليطعم))². أي فليدعُ بالبركة والخير والمغفرة³.

الصلاة اصطلاحاً: عبادة لله ذات أقوال، وأفعال معلومة مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، وسُميت صلاة؛ لاشتغالها على الدعاء⁴، وهي اسماً لكل دعاء، سواء كان مخصوص ، وقد اشتملت على الدعاء بنوعيه: دعاء المسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع، أو دفع ضرر، أو كشفه، وسؤال الحاجات من الله بلسان الحال. ودعاء العبادة: وهو طلب الثواب بالأعمال الصالحة: من القيام، والركوع، والسجود، فمن فعل هذه العبادات فقد دعا ربه وطلبه بلسان الحال أن يغفر له، فاتضح بذلك أن الصلاة كلها: دعاء مسألة، ودعاء عبادة؛ لاشتغالها على ذلك كله⁵.

1- سورة التوبة، الآية: 103.

2 - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1054/2، رقم 1431. ساشير اليه لاحقاً صحيح مسلم.

3- ابن منظور، لسان العرب ، 464/14

4- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة ،دون ،1968م، 267/1، ساشير اليه لاحقاً المغني لابن قدامة، المرادوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، ط2 - بدون، 388/1.

5- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض ،ص8.

2- الزكاة:

الزكاة لغة: الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح، وكل ذلك قد استعمل في القرآن والحديث¹.
الزكاة اصطلاحاً: حقٌ يجب في المال² وقيل: حقٌ واجب في مال خاص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص³.

3- صيام:

الصيام لغة: الإمساك⁴، يقال: صام النهار إذ وقف سير الشمس، قال الله تعالى إخباراً عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾⁵ أي: صمتاً؛ لأنه إمساك عن الكلام، والصيام: مصدر صام يصوم صوماً وصياماً⁶.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، 358/14. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1، 141983م، ص114.

² - المغني، ابن قدامة، 5/4.

³ - ابن قدامة، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، 433/2.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب 350/12.

⁵ - سورة مريم، آية 26.

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، 350/12.

اصطلاحاً: هو عبارة عن الإمساك عن الأكل، والشرب، والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية¹. أو هو عبارة عن إمساك عن أشياء مخصوصة في وقت مخصوص².

4- الحج:

الحج لغة: القصد، الى ما تعظمه .

اصطلاحاً: قصد الكعبة لأداء أفعال مخصوصة أو زيارة أماكن مخصوصة في زمان مخصوص بفعل مخصوص³.

المبحث الثالث: الآيات التي تدل على الوسطية في العبادات.

الصلاة: لا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا⁴.

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله، ومن جاء به، قال: فقال الله - تعالى - لنبيه، "ولا تجهر بصلاتك". أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، (وَلَا تُخَافِتُ بِهَا) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك. وقيل نزلت في الدعاء⁵. الآية تأمر بالتوسط بين أمرين منهي عنهما، وهما الجهر الشديد أو المخافتة والإسرار (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا). (ودون الجهر) أي دون الرفع في القول، أي: أسمع نفسك، كما قال: (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) أي بين الجهر والمخافتة⁶.

1 - الجرجاني، التعريفات، ص136.

2 - المغني، ابن قدامة، 323/4.

3 - المرجع نفسه، 217/3(المكان الكعبة ، الزمان اشهر الحج)

4 - سورة الاسراء، آية 110

5 - تفسير ابن كثير، 118/5.

6 - تفسير القرطبي، 355/7.

قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ¹﴾. أي جهدكم وطاقتكم.

عندما نزل قوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ² ﴾ ، شق ذلك على الناس و اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقبيهم، وتقرحت جباههم فأنزل الله - تعالى - هذه الآية، تخفيفاً على المسلمين: فنسخت الآية الأولى³. وفي ذلك دلالة الوسطية على هذا القول واضحة جلية رافة ورحمة بالناس وتخفيفاً عليهم .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۗ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۗ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرُّوا بِمَا قَرَّ اللَّهُ قَرُورًا حَسَنًا ۗ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۗ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. ۗ﴾⁴

وقوله- تعالى-: ﴿ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۗ﴾ مؤكدا لما قبله، وإحصاء الأشياء، عدها والإحاطة بها.

والضمير المنصوب في قوله: تُحْصُوهُ يعود على المصدر المفهوم من قوله: يُقَدِّرُ في الجملة السابقة.

والتوبة في قوله- سبحانه-: (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) يصح أن تكون بمعنى المغفرة، وعدم المؤاخذه، أو بمعنى قبولها منهم، والتيسير عليهم في الأحكام. وتخفيفها عنهم.

1 - سورة التغابن، آية 16

2 - سورة آل عمران، آية 102

3 - تفسير ابن كثير، 164/8.

4 - سورة المزمل، الآية 20.

أى: والله- تعالى- هو الذي يقدر أجزاء الليل والنهار، وهو الذي يعلم- دون غيره- أنكم لن تستطيعوا تقدير ساعاته تقديرا دقيقا.. ولذلك خفف الله عنكم في أمر القيام، ورفع عنكم المقدار المحدد، وغفر لكم ما فرط منكم من تقصير غير مقصود، ورخص لكم أن تقوموا المقدار الذي تستطيعون قيامه من الليل، مصليين ومتهجدين¹.

قال تعالى: ﴿ فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ ولكن قوموا من الليل ما تيسر من غير تحديد بوقت كما اشارت بداية الآية، وعبر عن الصلاة بالقراءة، كما قال (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ). أي بقراءتك² فالمعنى: رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف، ومن عسر إلى يسر³.

تقدير هذه الآية كأنه قيل: لم نسخ الله ذلك؟ لأنه علم الضعف والنقل والصعوبة على الناس وتعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله، أما المرضى فإنهم لا يمكنهم الاشتغال بالتهجد لمرضهم، وأما المسافرون والمجاهدون فهم مشغولون في النهار بالأعمال الشاقة، فلو لم يناموا في الليل لتوالت أسباب المشقة عليهم، وهذا السبب ما كان موجودا في حق النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾⁴ فلا جرم ما صار وجوب التهجد منسوخا في حقه .

ومن لطائف هذه الآية أن الله تعالى سوى بين المجاهدين والمسافرين للكسب الحلال، ثم أعاد مرة أخرى قوله: (فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) وذلك للتأكيد ثم قال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) يعني المفروضة⁵.

1 - طنطاوي، محمد سيد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 167/15 .

2 -تفسير ابن كثير 1/24.

3 - تفسير القرطبي 19/53.

4 - سورة المزمل، الآية 7.

5- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3 - 1420 هـ ، 695/30. سأشير إليه لاحقا الرازي التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب.

ويقول الطبري: فافرقوا من الليل ما تيسر لكم من القرآن في صلاتكم؛ وهذا تخفيف من الله عز وجل عن عباده فرضه الذي كان فرض عليهم بقوله: \square نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا .¹² \square فضل الله- تعالى - على عباده كبيرا، ورحمته بهم ظاهرة وعظيمة، وفي ذلك دلالة على الوسطية . قال تعالى: \square وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا.³ \square أي تخففوا فيها، من كميتها بأن تجعل الرباعية ثنائية⁴، (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فليس عليكم حرج ولا إثم⁵، ويراد به تخفيف الأعمال.

و من الآية تتبين الوسطية تسهيلا وتيسيرا أثناء السفر أو المطر أو المرض جمع وقصر ، للظروف التي يمر بها الإنسان في هذه الحالات من قلة في الماء أو البرد أو خوف من الطريق أو زيادة في المرض، تتناسب مع هذه الظروف فقصرت الصلوات الرباعية إلى ركعتين فقط ، لما في ذلك من مصلحة للمسلمين، وكذلك جواز الصلاة في أي مكان من الأرض وتخفيف الصلاة وعدم الإطالة فيها، لأن صلاة الجماعة تجمع بين الصغير والكبير والمريض، فينبغي مراعاة ذلك الحاجة .ورفعت الصلاة عن الحائض والنفساء، ولا تقضى بعد الطهر، وهذا يسر ولطف على المرأة، ومشروعية سجود السهو لجبر الخلل الذي يحصل في الصلاة، ولم تطلب إعادتها .

¹ - سورة المزمل، الآية3.

² تفسير الطبري، 698/23.

³ - سورة النساء، آية 101.

⁴ -تفسير ابن كثير، 348/2.

⁵ - تفسير الطبري، 123/9.

فمن تدبر الآيات يظهر له أن الله شرع الدين لأجل تكميل فطرة الناس وترقية أرواحهم وتزكية نفوسهم¹. كل هذا اليسر وهذه السماحة دليل على وسطية الإسلام في عبادة الصلاة .

قال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ² ﴾ أي: لا يكلف أحدا فوق طاقته ، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم ، وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة³. و قال الطبري: لا يكلف الله نفسا فیتعبدها إلا بما يسعها، فلا يضيق عليها ولا يجهدها⁴، وهذه الآية تقتضي عدم وقوع التكليف بما لا يطاق في الشريعة⁵. وهكذا يتصور المسلم رحمة ربه وعدله في التكليف التي يفرضها الله عليه. ويطمئن إلى رحمة الله وعدله في هذا كله؛ فلا يتبرم بتكاليفه، ولا يضيق بها صدرا، ولا يستقلها كذلك، وهو يؤمن أن الله الذي فرضها عليه أعلم بحقيقة طاقته، ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه. فهي التربية لروح المؤمن وهمته⁶.

¹ - رضا، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 5/316. سأشير إليه لاحقا تفسير المنار.

² - سورة البقرة، الآية 286 .

³ - تفسير ابن كثير، 1/572.

⁴ - تفسير الطبري، 6/129.

⁵ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ، 3/137.

⁶ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1/344.

الصلاة ليست كثيرة ولا قليلة، بل هي خمس صلوات في اليوم والليلة، ولا تعارض بين أدائها واي اعمال اخرى يقوم بها الانسان، فإذا نودي للصلاة، أجاب ثم يعود إلى عمله، ولا تستغرق مساحة كبيرة من اليوم، وإنما حددها رب العزة سبحانه في مواقيت معينة دون إفراط أو تفريط، ولا مشقة في أدائها ولا حرج .

الزكاة :قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾¹.

يقول تعالى بيانا لأنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها المشركون بأرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤها، وتعطوا منها الزكاة المفروضة من غير اسراف ولا تفريط ، قيل: معناه: ولا تسرفوا في الإعطاء ، فتعطوا فوق المعروف².

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

والمعنى المقصود من الآية: لا تأخذوا الشيء بغير حقه ثم تضعوه في غير حقه؛ وقيل: ما تجاوزت به أمر الله فهو سرف وإسراف³، تسرفوا في الصدقة أي في أمرها، لا تعطوا أموالكم وتقعّدوا فقراء والنهي عام يشمل الإسراف في أكل الإنسان من ماله بغير سرف، وفي إنفاقه على غيره من صدقة وغيرها، فالإسراف مذموم في كل شيء⁴. ففي ذلك دلالة على أن الاسراف هو مجاوزة الحد وهو من الغلو والنهي هنا يفيد التوسط في الصدقة التي دلت عليها (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) والتي قال عنها المفسرون الزكاة⁵.

¹ - سورة الانعام ، آية 141.

² - تفسير ابن كثير، 3/314 .

³ -تفسير القرطبي، 7/110.

⁴ - تفسير المنار ، 8/122-123.

⁵ - تفسير الطبري، 12/159.

الانفاق على النفس أو بالتصدق للغير، لا تكون بذلك طوعا للشيطان متباها بما تعطي وتعد وعيالك عالة على الناس بعد ذلك فهذه هي الوسطية بحد ذاتها .

الصيام □ : أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.¹

يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة وآمرا لهم بالصيام ، وهو : الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل، لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاق السيئة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل ما امروا به، لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان؛ ثم بين مقدار الصوم ، وأنه ليس في كل يوم ، لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه، بل في أيام معدودات².

ثم بين حكم الصيام على ما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام ، فقال: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أي: المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر؛ لما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران ويقضيان بعده ذلك من أيام أخر ويتبين من التيسير الوسطية في أداء فضية الصيام للمحافظة على النفس .

وأما " المعدودات " : فهي التي تعد مبالغها وساعات أوقاتها . ويعني بقوله : " معدودات " ، محصيات³ .

قوله تعالى: □ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . □ تعقيب لحكم العزيمة بحكم الرخصة ، فالفاء لتعقيب الأخبار لا للتفريع، وتقديمه هنا قبل ذكر بقية تقدير الصوم تعجيل بتطمين نفوس السامعين ، لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال وفي ذلك دلالة على وسطية القرآن الكريم في فرضية تطبيق العبادات⁴

1 - سورة البقرة، آية 184.

2 - تفسير ابن كثير، 1/364.

3 - تفسير الطبري، 3/417.

4 - التحرير والتنوير، 2/162.

. "والأقرب إلى المفهوم الإسلامي في رفع الحرج ومنع الضرر . فليست شدة المرض ولا مشقة السفر هي التي يتعلق بها الحكم إنما هي المرض والسفر إطلاقاً، لإزادة اليسر بالناس لا العسر"¹

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ هذا هو القسم الثاني من المستثنى، وهو من لا يستطيع الصوم إلا بمشقة شديدة؛ أي: وعلى الذين يشق عليهم الصيام فعلا فدية طعام مسكين عن كل يوم يفطرون فيه من أوسط ما يطعمون منه أهليهم في العادة الغالبة لا أعلاه ولا أدناه، ويطعم بقدر كفايته أكلة واحدة أو بقدر سبع المعتدل الأكلة، وكانوا يقدرونها بمد وهو - بالضم - ربع الصاع، وقدره بالحفنة وهي ملء الكفين من القمح أو التمر، وترتب الفدية على الإفطار لأجل المشقة الشديدة يعرف بالقرينة كقوله: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ عني: إذا أفطر .

قال صاحب المنار: الإطاقة أدنى درجات الممكنة والقدرة على الشيء، فلا تقول العرب أطاق الشيء إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث يتحمل به مشقة شديدة ، فالمراد بالذين يطيقونه هنا الشيوخ الضعفاء، والزمى الذين لا يرجى براء أمراضهم ونحوهم، كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم بالأشغال الشاقة كاستخراج الفحم الحجري من مناجمه، ومنهم المجرمون الذين يحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة إذا كان الصيام يشق عليهم بالفعل وكانوا يملكون الفدية².

قال تعالى: ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ³ .

1 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 168/1.

2 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 126/2-127.

3 - سورة البقرة، آية 187.

هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين، ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشرب والجماع إلى الليلة القابلة . فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة. والرفث هنا هو: الجماع، وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه، فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان، لئلا يشق ذلك عليهم، ويخرجوا¹، وكان السبب في نزول هذه الآية، قال أبو إسحاق عن البراء بن العازب قال: كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا كان الرجل صائماً فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل إلى مثلها، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، وكان يومه ذاك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك. فغلبته عينه فنام، وجاءت امرأته، فلما رأته نائماً قالت: خيبة لك ! أنمت ؟ فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ: (.... ففرحوا بها فرحاً شديداً² . وبدت المشقة في أخذ المسلمين بهذا التكليف، فردهم الله إلى اليسر وتجربتهم حاضرة في نفوسهم، ليحسوا بقيمة اليسر وبمدى الرحمة والاستجابة ونزلت هذه الآية³ .

نهى النبي عن الترهّب قائلاً: "أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"⁴ ، ما يفسر الوسطية في الصيام.

1 - تفسير ابن كثير، 1/376.

2 - نفس المرجع

3 - قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1/174.

4 - ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1، 1408 هـ - 1988 م، 2/21.

الحج: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝۱ ﴾¹
وظاهر الآية أنه إذا تحققت الاستطاعة وجب الحج على المستطيع على الفور، وذلك يندرج تحت مسألة اقتضاء الأمر الفور أو عدم اقتضائه إياه².

يعني بذلك: فرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام الحج إليه .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)، وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج ؟ فقال بعضهم : هي الزاد والراحلة وما روي عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) فقليل ما السبيل ؟ قال : " الزاد والراحلة "³.

من استطاع إليه سبيلا فيها بيان لموقع الإيجاب ومحلّه، وإعلام بأن الفرضية موجهة أولاً وبالذات إلى الحج، ولكن الله رحم من لا يستطيع إليه سبيلا، والاستطاعة تختلف باختلاف الأشخاص⁴.
قال أهل العلة : ولوجوب الحج خمس شرائط : الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة ، فلا يجب على الكافر ولا على المجنون، ولو حجا بأنفسهما لا يصح لأن الكافر ليس من أهل القرية ولا حكم على افعال المجنون، ولا يجب على الصبي ولا على العبد، ولو حج صبي يعقل، أو عبد يصح حجها تطوعا لا يسقط به فرض الإسلام عنهما فلو بلغ الصبي، أو عتق العبد بعدما حج واجتمع في حقه شرائط الحج وجب عليه أن يحج ثانيا، ولا يجب على غير المستطيع، لقوله تعالى: (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) غير أنه لو تكلف فحج يسقط عنه فرض الإسلام⁵.

1 - سورة آل عمران، آية 97.

2 - التحرير والتنوير، محمد رشيد رضا، 24/4.

3 تفسير الطبري، 38/7.

4 - رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، 10/4-11.

5 - البيهقي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء ، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البيهقي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط1 ، 1420 هـ، 474/1. سأشير إليه لاحقا في تفسير البيهقي.

في ذلك دلالة على التيسير وعدم احراج الناس والتخفيف عليهم رحمة من الله لهم .
قال تعالى:

﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ¹.﴾
وقوله : (فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) هذه الآية نزلت في عام الحديبية، حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الوصول إلى البيت، وأنزل الله في ذلك سورة الفتح بكمالها، وأنزل لهم رخصة: أن يذبحوا ما معهم من الهدي وكان سبعين بدنة، وأن يتحللوا من إحرامهم، فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن يخلقوا رؤوسهم ويتحللوا. فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج فحلق رأسه ، ففعل الناس وكان منهم من قصر رأسه ولم يخلقه ، فلذلك قال :-صلى الله عليه وسلم- "رحم الله المحلقين " . قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ فقال في الثالثة : " والمقصرين " وقد كانوا اشتركوا في هديهم ذلك ، كل سبعة في بدنة ، وكانوا ألفا وأربعمائة، وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم² .
و (استيسر) هنا بمعنى يسر، فالسين والتاء للتأكيد كاستصعب عليه بمعنى صعب؛ أي: ما أمكن من الهدي بإمكان تحصيله وإمكان توجيهه، فاستيسر هنا مراد به جميع وجوه التيسر³.
قال تعالى: ﴿ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ⁴.﴾

1 -سورة البقرة، الآية 196.

2 - تفسير ابن كثير، 1/395.

3 - التحرير والتنوير، 2/224.

4 - سورة البقرة، الآية 196.

لا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله، إلا أن يضطر إلى حلقه منكم مضطر، إما لمرض، وإما لأذى برأسه، من هوام أو غيرها، فيحلق هنالك للضرورة النازلة به، وإن لم يبلغ الهدي محله، فيلزمه بحلاق رأسه وهو كذلك، فدية من صيام، أو صدقة، أو نسك .

" المرض " الذي أبيع معه العلاج وحلق الرأس، فكل مرض كان علاجه صلاح صاحبه بخلق رأسه، وما أشبه ذلك، والجراحات التي تكون بجسد الإنسان التي يحتاج معها إلى العلاج بالدواء الذي فيه الطيب ونحو ذلك من القروح والعلل العارضة للأبدان .

وأما " الأذى " الذي يكون إذا كان برأس الإنسان خاصة له حلقه، فنحو الصداع والشقيقة، وما أشبه ذلك، وكل ما كان للرأس مؤذيا مما في حلقه تحسن حاله ورفع الضرر عنه، فيكون ذلك بعموم قول الله -تعالى- ¹.

ما روى مجاهد وغيره، عن ابن عباس في قوله: (فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) قال: إذا كان " أو " فأيه أخذت أجزأ عنك. و مذهب الأئمة الأربعة وعامة العلماء أنه يخير في هذا المقام ².

(فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ) الهدي لعدمه أو عدم المال (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ) أي: فعليه صيامها في أيام الإحرام بالحج وتمتد إلى يوم النحر، (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) من الحج إلى بلادكم، ويصدق بالشروع في الرجوع وعليه بعض الأئمة ومن السلف، قالوا: يجزئه الصوم في الطريق ولا يتضيق عليه إلا إذا وصل إلى وطنه. وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر في حجة الوداع أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله) ولهذا الحديث قال بعض العلماء: أنه لا يجوز صيامها قبل الوصول إلى أهله؛ لأنه تقديم للعبادة البدنية على وقتها، ويجاب عنه بأن لفظ الرجوع يصدق بالشروع فيه،

¹ - تفسير الطبري، 4/54-59.

² - تفسير ابن كثير، 1/397.

ولا يخفى أن الاحتياط أن يصومها بعد الوصول إلى أهله؛ لأنه المتبادر من العبارة، ولأن الصيام في السفر خلاف الأصل في هذه القرية وفي ذلك توسعة على الإنسان وتيسرا له¹.
(والحكمة من هذا الاستدراك في حالة الإحصار بالعدو كما وقع في عام الحديبية، أو الإحصار بالمرض، هي التيسير، فالغرض الأول من الشعائر هو استجاشة مشاعر التقوى والقرب من الله، والقيام بالطاعات المفروضة. فإذا تم هذا، ثم وقف العدو أو المرض أو ما يشبهه في الطريق فلا يحرم الحاج أو المعتمر أجر حجته أو عمرته. ويعتبر كأنه قد أتم. فينحر ما معه من الهدى ويحل. وهذا التيسير هو الذي يتفق مع روح الإسلام وغاية الشعائر وهدف العبادة)².
والتخير هنا دليل على التيسير وهو من مظاهر الوسطية في تشريع العبادات .
قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾³.
فلما جاء الإسلام تأثموا أن يتجروا، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، عن ابن عباس، قال: كان متجر الناس في الجاهلية عكاظ ومجنة وذو المجاز، فلما كان الإسلام كأنهم كرهوا ذلك، حتى نزلت هذه الآية⁴. في أيام الحج من كل عمل حتى كانوا يققلون حوانيتهم، فعلمهم الله تعالى أن الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الإخلاص، وقال: إن قوله تعالى: (مِنْ رَبِّكُمْ) يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة أنه فضل من الله تعالى نوع من أنواع العبادة، ويروى أن سيدنا عمر قال في هذا المقام لسائل: وهل كنا نعيش إلا بالتجارة ؟
لكن قال بعض العلماء: إن نفي الجناح يقتضي أن هذه الإباحة رخصة، وأن الأولى تركها في أيام الحج، وهذا لا ينافي ما إذا أريد بأيام الحج الأيام التي تؤدي فيها المناسك بالفعل .

1 - تفسير المنار، 2/180.

2 - قطب، سيد، في ظلال القرآن، 1/195.

3 - سورة البقرة، الآية 198.

4 - تفسير ابن كثير، 1/409.

والمراد من الآية أن الكسب مباح في أيام الحج إذا لم يكن هو المقصود بالذات، وأنه مع حسن النية وملاحظة أنه فضل من الرب تعالى يكون فيه نوع عبادة، وأن التفريغ للمناسك في أيام أداؤها أفضل، والتتزه عن جميع حظوظ الدنيا في تلك البقاع الطاهرة أكمل¹.

فيه إباحة التجارة والإجارة وسائر أنواع المكاسب في الحج، وأن ذلك لا يحبط أجرا ولا ينقص منه وهذه الإباحة والتيسير من مظاهر الوسطية ورفع الحرج عن الناس².

الخاتمة:

هذه دراسة موضوعية، تبرز دور وسطية الخطاب القرآني للأمة المسلمة، وقد اقتضت الدراسة معرفة المعنى اللغوي والشرعي للوسطية، وقد برزت من خلال البحث وسطية هذا الدين في التيسير في العبادات المخصوصة. نزل القرآن الكريم هداية للناس ونورا، يخرج الله به من شاء من الظلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطية (التيسير) عين الهداية وجوهرها، ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضة ترسم منهج الوسطية وتدل عليه، وخاصة في العبادات المخصوصة التي مدار البحث، صلاة وصيام وزكاة وحج ليست بعيدة عن الوسطية التي أراد القرآن ترسيخها من حيث عدم استطاعة الناس القيام به، فالعبادات ليست إلا جزءاً من هذا الدين المتكامل الذي ارتضاه الله تعالى للخلق، ومصدره القرآن الكريم بالأساس. فالإسلام كله وسط، وهذه الأمة أمة الوسط. [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا³]، ومن يغفل عن هذه الركيزة الأساسية في القرآن فهو غافل عن الهدف الأسمى الذي نزل القرآن من أجله وهو إيجاد الإنسان الصالح وهدايته. فمن هنا كان دور القرآن الكريم في ترسيخ مفهوم الوسطية الميسرة حتى في الركن الأساسي لهذا الدين العبادات .

¹ - تفسير المنار، 2/185-187 .

² - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1401 هـ - 1981 م ص47.

³ - سورة البقرة ، الآية 143.

وضمنت هذا البحث الشواهد القرآنية التي تدل على منهج الوسطية في العبادات، وكذلك مرادفات الوسطية التي تبين دور التيسير في القيام بها.

وظهر أن أدلة الوسطية ليست هي التي ورد فيها لفظ (الوسط) فقط، بل أعم من ذلك وأشمل، والآيات التي جاءت تدل دلالة صريحة على الوسطية كثيرة في كل ركن من أركان العبادات. الرفق في العبادات هو أول مظهر من مظاهر الرفق في الإسلام، وهو المجال الأول من مجالات تطبيق هذا الخلق الإسلامي الأصيل، وهو مرتبط برفق الإنسان بنفسه، وقد حثَّ الإسلام عليه ودعا إليه، والأمثلة على ذلك كثيرة من القرآن الكريم.

وما ورد عن عائشة - رضي الله عنها؛ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: (يا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ، وَإِنْ قَلَّ)¹. وهذا التوجيه النبوي الشريف لأُمَّته إنما هو توجيهٌ خبيرٌ بالنفس البشرية وطبائعها وعالم بآيات القرآن الكريم ومضمونها فهما وتطبيقاً .

فالنفس البشرية يعترها النشاط والفتور، كما تتعرض للملل والسأم، وليس هذا الأمر خاصاً بالأمر الدنيوية، بل وفي العبادات أيضاً، فالنفس قد تمل وتفتنر، فكان التوجيه الرباني لأُمَّته إلى الكفِّ عن العبادة مع أول شعور للملل والسأم؛ إذ أنه لو استمرَّ لربما كره العبادة بالكلية وتوقَّف عن أدائها.

وأخلص لتوصيات:

- 1- بذل الجهود العلمية من قبل الباحثين وطلاب العلم في بحث موضوع الوسطية .
- 2- عقد الندوات والمحاضرات لبيان أهمية الموضوع وحقيقته، وأثره الإيجابي في حياة الناس.

¹ - صحيح مسلم / 1 / 540 رقم 782.

- 3- الممارسة العلمية الواقعية لمنهج الوسطية الميسرة من قبل الدعاة، مما يتيح للناس أن يروا القدوة الصالحة التي هم في أمس الحاجة إليها.
- 4- عدم التشدد في العبادة لأنه أول شعور للملل والسأم؛ إذ أنه لو استمرَّ لربما كره العبادة بالكلية وتوقَّف عن أدائها.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجع:

القرآن الكريم.

1. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ، العبودية، المحقق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط17 - 2005م.
2. ابن حبان ،محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ،حقيقه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط1، 1408 هـ - 1988 م.
3. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ،دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
4. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ،مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، دار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
6. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
7. ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، المغني ، مكتبة القاهرة، دون، 1968م.
8. ابن قدامة، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، الشرح الكبير على متن المقنع ،دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع

9. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ، ط1، 1419 هـ.
10. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة العالمية ، ط9، 2001م.
11. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ، لسان العرب، دار صادر - بيروت ، ط2، 1414 هـ.
12. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت.
13. البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء ، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط1 ، 1420 هـ .
14. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط1 141983م.
15. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3 - 1420 هـ .
16. رضا ،محمد رشيد بن علي رضا ،تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
17. الزمخشري ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ،أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
18. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل ،تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1401 هـ - 1981 م.
19. ضميرية، عثمان، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، مكتبة السواري - جدة، ط1.
20. الطبري ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط1، 2001م.
21. طنطاوي ،محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1.
22. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض ،مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.



23. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ، الجامع لأحكام القرآن ،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة.
24. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط17 - 1412هـ.
25. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات " معجم في المصطلحات والفروق اللغوية " ،المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
26. مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط ، دار الدعوة .
27. المرادوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، ط2 - بدون.
28. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
29. هاشم، أحمد عمر، وسطية الإسلام، دار الرشاد للنشر والتوزيع، ط 1، 1998م.

الإنترنت:

1. فرحات، يوسف علي، الوسطية والاعتدال، مقال

منشور ، <http://www.msajedna.ps/index.php/front/news/article/253>